تعليقات فضيلة الشيخ

صالح بن فوزان الفوزان

على كتاب

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان

للإمام ابن القيم رحمه الله

«الشريط التاسع»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

قال المؤلف رحمه الله تعالى.

المتن: الباب السادس: أنه لا سعادة للقلب، ولا لذة، ولا نعيم، ولا صلاح إلا بأن يكون إلهه وفاطره وحده هو معبوده وغاية مطلوبه، وأحب إليه من كل ما سواه.

الشيخ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

لا شك أن راحة القلب وطمأنينة النفس أنها تكون في عبادة الله، لأن هذا هو الموافق للفطرة، وهو الملائم لحاجة الإنسان، لأن العبد يحب ربه عز وجل حبا لا يقاس بغيره، أحب إليه من نفسه ومن ولده ووالده والناس أجمعين، والعبادة مدارها على المحبة، فأحب الأشياء إلى القلب السليم أن يعبد الله عز وجل، ويطمئن بذكره ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[الرعد: ٢٨]

وأيضا العبد بحاجة ضرورية إلى عبادة ربه لأنه لا يستغني عن الله طرفة عين، ولا وسيلة له إلى ربه إلا بالعبادة، العبد هو المحتاج إلى ربه وليس الله محتاجا إلى العبادة، هو غنيٌ سبحانه عن خلقه كلهم ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم: ٨]

إنما نحن بحاجة إلى عبادة الله لتربطنا بالله وتصلنا بالله عز وجل، فيقضي حوائجنا وتحصل لنا مطالبنا منه سبحانه وتعالى، وأما من كفر بالله أو عبد غير الله فإنه وضع العبادة في غير موضعها، وإذا وضعها في غير موضعها فإنها لا تنفعه بل تضره.

ولذلك الشرك هو أعظم الظلم ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣] لأنه وضع للعبادة في غير موضعها، فهو ظلم من هذه الناحية، وظلم أيضا من العبد لنفسه، لأنه علقها بغير الله، وأتعبها فيما يضرها ولا ينفعها، فهو ظلم نفسه، وأشرك بالله عز وجل، فهذا هو سر العبادة بين العبد وبين ربه، أنه لا غنى للعبد عن عبادة الله، وهو محتاج إليها، وأما الله عز وجل فإنه ليس بحاجة إلى عبادة المخلوقين، وإنما أمرهم بها رحمة بهم لتقربهم إليه، تربطهم بالله عز وجل، وتنجيهم من عذابه، فالمصلحة في العبادة راجعة إلى العبد نفسه، فكيف الإنسان يفرط في عبادة الله؟! أو يشرك بالله عز وجل مالا ينفعه ولا يضره؟! فهذا من السفه ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ﴾ [البقرة: ١٣٠]

هذا هو السفيه، فالمشرك سفيه، والملحد أسفه، لماذا؟

لأنهم ضيعوا أنفسهم وقطعوا صلتهم بخالقهم وربهم، وكفروا نعمة الله عز وجل، الذي أنعم عليهم ونسبوها إلى غيره من الأوثان والأصنام وغير ذلك من المعبودات التي لا تنفع ولا تضر.

المتن: **الباب السادس: أنه لا سعادة للقلب، ولا لذة، ولا نعيم، ولا صلاح إلا بأن يكون إلهه وفاطره وحده هو معبوده وغاية مطلوبه، وأحب إليه من كل ما سواه.**

الشيخ: نعم، ما يسعد الإنسان إلا بهذا، فإن ضيع هذا ضاع وخسر دنياه وآخرته، وأيضا من فوائد العبادة العظيمة أنه يجد لها لذة، يجد لذه للعبادة لا يجدها غيره، ويرتاح بها، ولهذا كانصلى الله عليه وسلم إذا حزبه الأمر قال لبلال أقم الصلاة، أرحنا بها، لما أصابه من الهموم والأحزان والكربات، يفزع إلى الصلاة ويطمئن فيها ويتلذذ بها؛ وكذلك المؤمنون قال تعالى ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ أي شاقة ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يعني: يعتقدون ويوقنون، الظن هنا بمعنى اليقين ليس بمعنى الشك ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: ٤٦]

هؤلاء يتلذذون بالصلاة؛ ولذلك يطيلونها لأنهم لا يملُّون منها، بخلاف الذي يدخلها بغير خشوع فإنه يصبح كأنه في سجن ويسابق الإمام يريد أن يخرج منها بسرعة، لأنه مسجون، والخاشع مرتاح وفي نعيم وجنة مادام في صلاته، تلذُّذ بالعبادة؛ ولذلك يقول قائلهم إن كان أهل الجنة في مثل ما نحن فيه إنهم لفي عيش طيب، يعني ما هم فيه من لذة العبادة والطاعة.

قال آخر: أهل الدنيا مساكين خرجوا منها ولم يلتذوا بأطيب ما فيها وهو عبادة الله سبحانه وتعالى فهي فيها لذة للمؤمن، وسيأتي كلام الشيخ أن العبادة ليست تكاليف، الله لا يقصد تكليف الناس بها؛ وإنما حكمته فيها أنها تريح الناس، ما يتكلفون فيها بل يرتاحون فيها ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: ٤٥]

الذي يجد الراحة في صلاته فهذا دليل على أنه من الخاشعين وأنه يتلذذ في صلاته، وأما الذي يمل من الصلاة ويستبطئ الخروج منها فهذا ليس من الخاشعين، هذه صفة المنافقين ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢]

ويذكر أن شخصا كان إذا أقيمت الصلاة ما يذهب إلى المسجد ويأخذ يتردد في الشارع رايح جاي، قال واحد يا فلان لماذا لا تدخل للمسجد وتصلي مع الناس؟

قال ما استطيع والله إن الصلاة أشق علي من الجبال، ودي أحمل الجبال ولا أدخل في الصلاة، نعم حرمه الله لذة العبادة، فالعبادة ليس المقصود منها الإتعاب والتكليف والمشقة، المقصود منها لبها، هذا المقصود منها، راحة النفس وطمانينة القلب ولذة الطاعة.

المتن: معلوم أن كل حَيّ سوى الله سبحانه: من ملك أو إنس أو جن أو حيوان، فهو فقير إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره.

الشيخ: نعم كل مخلوق فهو فقير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥]

الناس بما فيهم من ملوك وما فيهم من الأغنياء والأثرياء، وما فيهم من أصحاب الملذات والشهوات كلهم فقراء إلى الله، ولو كانت الدنيا عندهم كلها فهم فقراء إلى الله، ما تغنيهم أبدا، الله لا يغني عنه شيء، الله جل وعلا لا يغني عنه شيء، فالذي يستغني بالله هذا غني ولو كان ما عنده شيء، غني بالله، ولهذا في الحديث«ليس الغِنَى عن كثرةِ العَرَضِ» يعني الأموال«ولكنَّ الغِنَى غِنَى النَّفسِ» والقلب لا يستغني إلا بعبادة الله سبحانه وتعالى.

المتن: معلوم أن كل حَيّ سوى الله سبحانه: من ملك أو إنس أو جن أو حيوان، فهو فقير إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره.

الشيخ: نعم، حتى الملائكة عباد محتاجون إلى الله سبحانه وتعالى، ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ – ٢٧] الملائكة في حاجة إلى الله، وسائر الخلق كلهم بحاجة إلى الله، لا أحد يستغني عن الله طرفة عين.

المتن: فهو فقير إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره ولا يتم ذلك له إلا بتصوره للنافع والضار.

الشيخ: ولا يجلب له ما ينفعة ويدفع عنه ما يضره إلا الله جل وعلا، لا أحد يقدر أن يجلب له ما ينفعه ولا يدفع عنه ما يضره إلا الله جل وعلا.

المتن: فهو فقير إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره ولا يتم ذلك له إلا بتصوره للنافع والضار.

الشيخ: إلا بتصوره، تسير العبادة ما لها قيمة عنده إلا إذا تصور ما فيها، إذا تصور سرها وروحها، إذا تصور ذلك سهلت عليه العبادة، وتلذذ بها، أما إذا لم يتصور ما فيها من السر الإلهي وما فيها من الراحة وطمأنينة القلب ولذة النفس فإنها لا تكون عنده ذات قيمة، وبعضهم يقول: هذه عادات

وتقاليد، بعضهم يجعل الصلاة من العادات والتقاليد، والتقاليد اللي ما لها قيمة؛ إنما الناس اعتادوها، لأنه ما يجد لها لذة ولا يجد لها راحة، ولا دخلت في قلبه، وبعضهم يقول الصلاة رياضة للأعضاء وللبدن، تصورها أنها رياضة فقط؛ لأنه ما وجد فيها من السر والروح والعبادة.

المتن: والمنفعة من جنس النعيم واللذة، والمضرة من جنس الألم والعذاب، فلا بد له من أمرين: أحدهما هو المحبوب المطلوب الذى ينتفع به ويلتذ بإدراكه.

الشيخ: لابد أن يتعلق بالمحبوب المطلوب الذي تُطلب منه الحوائج وهو الله سبحانه وتعالى.

المتن: والثانى: المعين الموصل المحصل لذلك المقصود.

الشيخ: الثاني: يأخذ بالأسباب التي تعينه على الطاعة والعبادة، ويترك الأسباب التي تشغله والتي تلهيه عن العبادة، ماهو معناه أن يترك الدنيا؟! يأخذ من الدنيا قدر ما يعينه على عبادة الله وطاعته، لأنه ما يستطيع أن يعبد الله ويتفرغ إلا بشيء يقتات به ويستغني به عن الناس، هذا ما هو معناه أنه يترك الدنيا ويعطل الأسباب؟! ليس هذا هو المطلوب.

المتن: وبإزاء ذلك أمران آخران، أحدهما: مكروه بغيض ضار، والثانى: معين دافع له عنه.

فهذه أربعة أشياء:

أحدها: أمر هو محبوب مطلوب الوجود.

الثانى: أمر مكروه مطلوب العدم.

الثالث: الوسيلة إلى حصول المطلوب المحبوب.

الرابع: الوسيلة إلى دفع المكروه.

فهذه الأمور الأربعة ضرورية للعبد، بل ولكل حيوان.

الشيخ: نعم، هو بحاجة إلى أربعة أمور:

- بحاجة إلى أخذ ما ينفعه، أو الأخذ بما ينفعه.
- وبحاجة إلى ترك ما يضره، هذان اثنان.
- والثالث هو بحاجة إلى ما يعينه على ما ينفعه.

- وبحاجة إلى ما يعينه على ترك ما يضره.

كل عبد لابد له من هذه الأمور الأربعة.

المتن: فهذه الأمور الأربعة ضرورية للعبد، بل ولكل حيوان، لا يقوم وجوده وصلاحه إلا بها.

الشيخ: حتى الحيوانات لابد لها من هذه الأربعة.

المتن: فإذا تقرر ذلك، فالله تعالى هو الذى يجب أن يكون هو المقصود المدعو المطلوب، الذى يراد وجهه.

الشيخ: لأنه هو القادر على ما تريد وما تطلب، أما غيره فلا يقدر على ما تطلب منه، إلا إذا يسر الله له ذلك، إذن الأمر راجع إلى الله ما هو إلى المخلوق.

المتن: فالله تعالى هو الذى يجب أن يكون هو المقصود المدعو المطلوب، الذى يُراد وجهه ويبتغى قربه، ويطلب رضاه، وهو المعين على حصول ذلك.

الشيخ: وهو المعين على حصول الطلب ما يُطلب منه وما يُدعا منه.

المتن: وعبودية ما سواه والالتفات إليه، والتعلق به: هو المكروه الضار.

الشيخ: نعم، عبادة غير الله هي الضارة وهي المكروهة فيجب عليه أن يتجنبها، فلا يعبد غير الله ولا يكفي هذا، يتجنب الوسائل التي تعينه على عبادة غير الله، أو تغريه بعبادة غير الله من وسائل الشرك ووسائل الكفر، يترك الوسائل.

المتن: وعبودية ما سواه والالتفات إليه، والتعلق به: هو المكروه الضار وهو المعين على دفعه، فهو سبحانه الجامع لهذه الأمور الأربعة دون ما سواه.

الشيخ: هو الجامع القادر على تحصيل المطلوب وعلى دفع المكروه، وعلى ما يعين على تحصيل المطلوب وعلى ما يعين على ترك المرهوب.

المتن: فهو سبحانه الجامع لهذه الأمور الأربعة دون ما سواه، فهو المعبود المحبوب المراد، وهو المعين لعبده على الوصول إليه وعبادته له.

الشيخ: ولذلك إذا لم يعنك الله لم تستطع العبادة إلا بعونه سبحانه؛ ولهذا من أفضل الذكر لا حول ولا قوة إلا بالله، إذا لم يعنك الله ويقويك فإنك لا تستطيع أن تفعل شيئا.

المتن: فهو المعبود المحبوب المراد، وهو المعين لعبده على وصوله إليه وعبادته له، والمكروه البغيض هو بمشيئته وقدرته، وهو المعين لعبده على دفعه عنه.

الشيخ: هو الذي أوجد المطلوب والمرغوب، وهو الذي أوجد المكروه المُبغض ابتلاء وامتحانا، فالمخلوقات الكريهة من خلق الله سبحانه وتعالى، لماذا خلقها؟ خلقها للإبتلاء والإمتحان؛ ليبتلي بها عباده، فلو كانت الدنيا كلها حلوة ولا فيها مكاره ولا فيها شياطين ولا فيها عصاه ما تميز الصادق من الكاذب في العبادة، صار الناس كلهم سواء، والله يريد أن يميز الخبيث من الطيب ولذلك كما أنه أوجد الطيبات أوجد الخبائث، كما أنه أوجد الصالحين أوجد الفاسقين والكفار لحكمة إلهية من أجل أن يمتحن العباد ويمايز بين الصادق والكاذب.

المتن: والمكروه البغيض هو بمشيئته وقدرته، وهو المعين لعبده على دفعه عنه.

الشيخ: ولا يدفع المبغوض والمكروه إلا الله عز وجل، هو الذي يدفع عنك هذا الشيء.

المتن: كما قال أعرف الخلق به صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «أَعُوذ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ».

الشيخ: يستعاذ بصفات الرضا وصفات العفو من صفات الغضب والعقوبة، وكلها خلق لله عز وجل، فهو استعاذ من صفة بصفة أخرى من صفات الله سبحانه وتعالى ؛ لأنه ما يُعيذ من ذلك إلا الله، فلا يعيذ من الغضب إلا الرضا، ولا يعيذ من العقوبة إلا المعافاة، ولا أحد يُعيذك من هذه الأشياء إلا الله جل وعلا، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ [التوبة: ١١٨].

المتن: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ».

الشيخ: أعوذ بك من عقوبتك، ومن ما خلقته للإبتلاء والامتحان، أن تجنبه عني.

المتن: وقال: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَى مِنْكَ إلا إِلَيْكَ»

الشيخ: هذا الدعاء الذي يقال عند النوم، وفيه التفويض إلى الله سبحانه وتعالى، وأنه لا ملجأ منه إلا إليه، يجير ولا يجار عليه.

المتن: فمنه تعالى المنجى، وإليه الملجأ، وبه الاستعاذة من شر ما هو كائن بمشيئته وقدرته، فالإعاذة فعله، والمستعاذ منه فعله، أو مفعوله الذى خلقه بمشيئته.

الشيخ: نعم لأن كله لله عز وجل.

المتن: فالأمر كله له، والحمد كله له، والملك كله له، والخير كله فى يديه، لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه.

الشيخ: لا أحد يحصي الثناء على الله عز وجل لأن نعمه لا تحصى، وحقه ما أحد يقوم بحقه سبحانه على الوفاء والتمام، لأن حقه عظيم؛ ولكن العبد إذا قام بما يستطيع لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، فهو يتفضل عليه بما نقص، تفضل عليه ويكمِّل له المطلوب من فضله وإحسانه، ما هو في مقابل أنه عبد الله أو أنه دعا الله؟ ماهو في مقابل هذا، الذي عمله ما يوازن شيء من أصغر نعمه، لو يحاسب ما عادلت أعماله أصغر نعمة من نعم الله، ولهذا يُروى أن رجلا في البحر، إنكسرت به سفينة فلجأ إلى جزيرة في البحر لينجو من الغرق فأنبع الله له عينا عذبة في هذه الجزيرة، وأنبت له شجرة في الصباح وفي المساء تمر ليأكل منها، وتفرغ للعبادة، عبد الله وسأل الله أن يقبضه وهو ساجد فاستجاب الله له، وأفنى مدته في هذه الجزيرة في العبادة، وحقق الله له طلبه فمات وهو ساجد، فلما لقي الله عز وجل قال أدخل الجنة برحمتي، قال يارب وعملي؟

يعني كل حياته يعبد الله ويدخل الجنة برحمة الله يعني ما يدخلها بعمله؟ يسأل الله عز وجل، ما هو يعترض على الله لكن يسأل الله، لماذا إنه ما يدخل الجنة بعمله؟

قال الله لملائكته حاسبوه، فحاسبوه فوجدوا عبادته لا تعادل نعمة البصر، وبقي النعم الأخرى ليس لها مقابل، فقال الله أدخل النار، أمر بدخوله النار، فقال يارب أدخلني الجنة برحمتك، فقال الله أدخل الجنة برحمتي.

فتبين من هذا أن عمل الإنسان قليل لو أفنى حياته كلها ما تقابل أقل نعمة من نعم الله عليه، ولهذا قال ﷺ في الحديث الصحيح: « لن يدخلَ أحدٌ منكمُ الجنَّة بعملِهِ قيل: ولا أنتَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: ولا أنا إلَّا أن يتغمَّدَنِيَ اللَّهُ برحمةٍ منْهُ وفضلٍ ».
ولهذا قال: «لا أحصي ثناءً عليك» ، أقر بالعجز عن استكمال الثناء على الله عز وجل، وهو سيد الخلق وأفضل الخلق، وأكمل الخلق عبادة، فقوله تعالى ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾
[النحل: ٣٢]

الباء يقولون باء السبب وليست باء العوض، فالجنة ليست ثمنا للعمل لأنها ما تدرك بالأثمان؛ وإنما العمل سبب لدخول الجنة، فالباء سببية وليست باء العوض، مثل إشتريت هذه السلعة بريال، الباء باء العوض، الجنة ليست عوضا عن العمل أبدًا؛ لأن الجنة عالية وغالية ولا تدرك بالأثمان؛ لكنها فضل من الله سبحانه وتعالى ورحمة من الله.

المتن: فالأمر كله له، والحمد كله له، والملك كله له، والخير كله فى يديه، لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثنى عليه كل أحد من خلقه.

الشيخ: يعني مهما الإنسان عبد الله فحق الله أعظم مما قام به العبد؛ ولكن العمل سبب لرحمة الله.

المتن: ولهذا كان صلاح العبد وسعادته فى تحقيق معنى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة: ٥]

الشيخ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ قدم المعمول ﴿إِيَّاكَ﴾ على العامل وهو ﴿نَعۡبُدُ﴾ ، ليفيد الاختصاص والحصر، أي لا نعبد إلا إياك، فإياك نعبد أبلغ من نعبدك؛ لأنه يفيد الحصر، أما نعبدك فهذا لا يفيد الحصر، ثم انظر قال: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ لولا إعانة الله لم تعبد الله عز وجل، فالحكمة في قرن الاستعانة بالعبادة أنه لا يستطيع العبادة إلا بإعانة الله عز وجل، فهو مثل قول لا حول ولا قوة إلا بالله، والعبادة من العبد والإعانة من الله عز وجل، فهذه الآية جمعت بين الأمرين ماهو من العبد وما هو من الله.

المتن: ولهذا كان صلاح العبد وسعادته فى تحقيق معنى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فإن العبودية تتضمن المقصود المطلوب، لكن على أكمل الوجوه، والمستعان هو الذى يستعان به على المطلوب.

فالأول: من معنى ألوهيته

والثانى: من معنى ربوبيته.

الشيخ: نعم، الإعانة من الربوبية من أفعال الرب سبحانه فهي من توحيد الربوبية، والأول ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ من توحيد الألوهية، فهذه الآية فيها نوعا التوحيد، توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية.

المتن: فإن الإله هو الذى تألهه القلوب: محبة، وإنابة، وإجلالا، وإكراما، وتعظيما، وذلا، وخضوعا.

الشيخ: الإله من الوله وهو المحبة، فالإله هو المألوه المحبوب المعبود سبحانه وتعالى، فالإله له معنيان:

المعنى الأول : المحبوب.

والمعنى الثاني: المعبود.

فالإله هو المعبود وهو أيضا المحبوب من الوله، فيه معنى الألوهية وهي العبادة، ومعنى الإلهة والوله وهو المحبة كما سبق لكم في فتح المجيد.

المتن: فإن الإله هو الذى تألهه القلوب: محبة، وإنابة، وإجلالا، وإكراما، وتعظيما، وذلا، وخضوعا وخوفا ورجاء، وتوكلا. والرب تعالى هو الذى يربُّ عبده فيعطيه خلقه، ثم يهديه إلى مصالحه.

الشيخ: الرب هو الذي يربُّ عبده ويربيه بنعمه، الرب له معاني: المالك، السيد، المربي، كلها تدخل في معنى الرب وكلها تجتمع في الله سبحانه وتعالى ، أنه المالك وأنه السيد وأنه المصلح وأنه المربي، فهو الذي ربى عباده بنعمه، وهداهم لطاعته، ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾ [طه: ٥٠] هداه الصراط المستقيم، ووفقه وأعانه على سلوكه، وأيضا أعطى كل شيء خلقه حتى في غير الأمور الطبيعية، كل شيء الله أعطاه خلقه، الحيوانات والحشرات كلها أعطاها الله خلقها اللائق بها وهداها لاستغلال قدراتها وأعضائها في مصالحها، تشوفون أنتم الحيوانات تتحرك لمصالحها هداها الله لذلك الهداية التي هي الدلالة والإرشاد، هداها الله لذلك.

طيب؛ ولد البهيمة أذا ولدت أليس أول شيء أنه يتوجه لثديها ؟

ما الذي اللي أدراه عن الثدي، وأدراه عن اللبن؟ هو الله سبحانه وتعالى هو الذي هداه ودله على ذلك.

المتن: والرب تعالى هو الذى يربُّ عبده فيعطيه خلقه، ثم يهديه إلى مصالحه فلا إله إلا هو ولا رب إلا هو، فكما أن ربوبية ما سواه أبطل الباطل، فكذلك إلهية ما سواه.

الشيخ: نعم، فربوبية ما سواه أبطل الباطل؛ لأنه لا أحد يربي الناس وينعم عليهم ويوفقهم إلا الله سبحانه وتعالى؛ وكذلك إلهية غير الله من أبطل الباطل لأنها إلهية بغير حق، الإلهية الحق لله سبحانه وتعالى، هو المستحق للعبادة دون سواه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢﴾ [الحج: ٦٢]

المتن: فكما أن ربوبية ما سواه أبطل الباطل، فكذلك إلهية ما سواه وقد جمع الله سبحانه بين هذين الأصلين في مواضع من كتابه كقوله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ ١٢٣﴾ [هود: ١٢٣]

الشيخ: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ ١٢٣﴾ فوض أمرك إليه، التوكل معناه التفويض، تفويض الأمور إلى الله سبحانه وتعالى؛ لكن ما تتوكل عليه ولا تعبده!! لازم تجمع بين الأمرين تعبده وأن توكل عليه سبحانه وتعالى، فلا تتوكل بدون عباده ولا تعبده بدون توكل، لابد من الأمرين.

المتن: وقوله عن نبيه شعيب ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ [هود: ٨٨]

الشيخ: شعيب عليه السلام الذي خاطب قومه بالكلام الفصيح حتى سماه العلماء بخطيب الأنبياء لحسن أسلوبه ومنطقه ومحاجته لقومه في النهاية قال ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾ ما يريد منهم طمع ولا يريد منهم مال ولا يريد منهم أجر، إن يريد إلا إصلاحهم، المصلحة لهم، ولا يريد رياسة ولا يريد مطامع، ما يريد بدعوته وتعبه إلا الإصلاح، هذا هو الإصلاح الصحيح، ما هو بالإصلاح اللي يفسد أديان الناس ويقول هذا إصلاح وهذا تنوير وهذا وهذا، هذا إفساد وليس إصلاح، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢﴾ [البقرة: ١١ – ١٢] فهم المفسدون، أما الأنبياء فهم الذين يريدون الإصلاح للناس، ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾ يعني اعترف بالعجز بحكم إنه بشر، ثم قال: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ كلمات عظيمة من هذا النبي الكريم يخاطب بها قومه.

المتن: وقوله ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ﴾ [الفرقان: ٥٨]

الشيخ: ﴿وَتَوَكَّلۡ﴾ أي فوض أمورك إلى ﴿ٱلۡحَيِّ﴾ وهو الله الحياة الكاملة، ﴿ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ ما معنى الحي الذي لا يموت؟ هناك من هم أحياء لكن يموتون؛ أما الله جل وعلا فهو الحي الذي لا يموت.

المتن: وقوله ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾

الشيخ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ أي نزهه عن النقائص والعيوب.

المتن: وقوله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل: ٨ – ٩]

الشيخ: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ﴾ في العبادة ﴿تَبْتِيلًا﴾، ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ مشرق الكواكب التي تشرق منها الكواكب والشمس والقمر، وفي الآية الأخرى ﴿بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ [المعارج: ٤٠]، وقد يُوحد المشرق والمغرب وقد يُعدد بتعدد النجوم والشمس والقمر، وقد توحد وهي معناها التعدد، رب ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ أي المشارق، ﴿وَالْمَغْرِبِ﴾: أي المغارب، مغارب النجوم، لا إله إلا هو، لا معبود بحق سواه، لأنه هو الرب سبحانه ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ فهو الذي يستحق العبادة،الرب هو الذي يستحق العبادة، ﴿لَا إِلَٰهَ﴾ أي لا معبود بحق سواه﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ فوض إليه أمورك لأنه هو القادر على تحقيق مطالبك ودفع المضار عنك، وكِّل أمرك إليه، ولا تتوكل على غيره، التوكل من أعظم انواع العبادة، لا تتوكل على مخلوق، من توكل على شيء وكله الله إليه، وكله إلى ضعيف مثله أو أقل منه، لكن توكل على الله القادر الذي لا يعجزه شيء، فوض أمورك إليه، وعلق آمالك به سبحانه وتعالى.

المتن: وقوله ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۝٣٠﴾[الرعد: ٣٠]

الشيخ: نعم والآيات في هذا كثيرة.

المتن: وقوله عن الحنفاء أتباع إبراهيم عليه لسلام ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٤﴾[الممتحنة: ٤]

الشيخ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾[الممتحنة: ٤] هذا الولاء والبراء، دين إبراهيم عليه السلام، الآن يقولون لا، مافيه ولاء ولا براء، هذه كراهية أنتم تكرهون الناس تبغضون الناس عندكم كراهية، نعم عندك كراهية لأعداء الله وبغض لأعداء الله ولا نودهم أبدا، هذا دين، ما هو بشيء إحنا اللي أوجدناه!! هذا الله أمرنا به ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ

ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ إذا آمنتم بالله وحده زال البغض لكم وجاءت المحبة لكم، فنحن ما أبغضناكم إلا لأنكم كفار ولأن الله يبغضكم وأنتم ﴿وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٨] هذا الأصل العظيم الذي هو ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ هذا لا تقتدون به فيه لأنه قالها ﴿عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ لأنه قال سأستغفر لك ربي وهو يفي بوعده لكن لما علم أنه عدو لله تبرأ منه، شوف ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤]

أتباع إبراهيم عليه السلام يقولون: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الممتحنة: ٤ – ٧]

المتن: فهذه سبعة مواضع تنتظم هذين الأصلين الجامعين لمعنيي التوحيد اللذين لا سعادة للعبد بدونهما البتة.